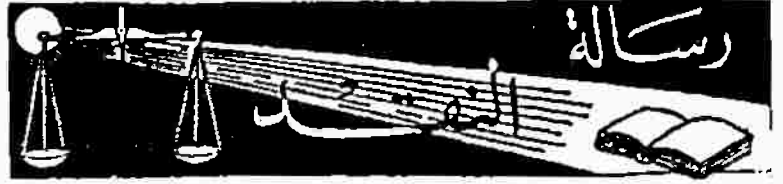


أنا نعلم أن الزندقة في مصر العباسي قد امتحن بها طائفة من الفسكين والأدباء ولم يمتهم حين نزل بهم بلاه الحاكم أقدارهم ولا علمهم وربما قتل بعضهم زورا وعدوانا للشبهة الباطلة التي زيفها الحساد الناقون .



من حديث الشعر والنثر

حملني الظروف الراهنة على أن أفق من هذا الكتاب موقف الدارس الناقد ، وقد وقت منه فيما مضى موقف القاري المستوعب وكان اختلاف الاتجاه في الحاليين لاختلاف البواعث التي حدثت بي إلى قراءة الكتاب .

قرأته فيما مضى لاستفيد من معارفه إثر ظهوره ، وهانذا أقرؤه مع طلابي بمدارس السودان ، لأبصرهم بما اشتمل عليه من آراء قيمة وبحوث طريفة لمست في كثير منها الدليل الناصع والنهج القويم . غير أنني وقفت — واستوقفتني طلابي — عند بعض الآراء فلم أجد لها دليلا من معقول أو منقول يشفي الغلة ويحمل على التصديق وسأعرض لبعض منها بالدراسة عل فيها شيئا من الهداية للطلبة الدارسين .

١ — قتل ابن المقفع :

يمتد المؤلف بأن إيمان ابن المقفع لم يكن صحيحاً فهو يقول « ولكن إيمانه لم يكن فيما يظهر صحيحاً ولا خالصاً لله فقد كتب في الزندقة كتباً كثيرة اضطر بعض المسلمين أن يرد عليها في أيام المأمون ... »

يمتد هذا الاعتقاد ثم ينفى أن تكون الزندقة هي التي قتله دون أن يلتزم لذلك دليلا فلم يرد على أن قال : « أما أنا فأرجح جداً أن الذي قتل ابن المقفع ليست الزندقة ... » ونحن لا نجعل أن كثيراً من الباحثين قد دافعوا عن إيمان ابن المقفع إكباراً للرجل وضناً بمثله أن يعود إلى الزندقة وقد من الله عليه بالإسلام وحق لهم وقد حاولوا إبطال هذه التهمة بالدلائل أن يبطلوا ما ترتب عليها من قول القائلين : إن الزندقة هي التي قتله .

أما الدكتور فيثبت الزندقة ثم ينفى أن يكون القتل بسببها كأنها الأمر المين الذي لا يستوجب قتلا ولا يستدعي حساباً مع

والمؤلف ينفى كذلك أن يكون المهد الذي كتبه لعبد الله بن علي بن أبي جعفر المنصور هو الذي قتله فيقول : « ولم يقتله تشدده في الأمان الذي كتبه لعبد الله بن علي لأنه يوشك أن يكون أسطورة ليس لدينا منها نص » .

وأعتقد أن نعمت المهد بالبطلان — لأنه لم يصل إلينا — حجة لا تنهض على أساس فكهم من عهود أضاعها الزمن ، وكمن كتب عني عليها التقدم وبقيت لنا أخبارها فيما بقي من أخبار السابقين ، وإذا كان هناك أثر جدير بالضياع فهذا الأثر الذي يمارض مشيئة الحاكم وبقيدته بقيود قاسية لا يرتضيها لنفسه ومنها طلاق النساء وتحرير المبيد إذا ما نقض المهد :

على أننا إذا التمسنا سبب القتل فيما كتب الدكتور وجدناه سبباً لم يشر إليه نص من التاريخ ولم يقل به من كان في عهد ابن المقفع أو بعده بقليل وهو إلى جانب هذا تلمس لأشياء لم نجد لها قوة السببين السابقين : فهو يقول : إن رسالة الصحابة هي التي قتله ويسرد منها ما يراه مثيراً للحفيظة الخليفة ومشجعاً له على قتل الرجل .

لست أفهم أن تراف الكاتب إلى الخليفة بنصيحة من النصائح بعد أن يمهّد لها بالثناء المستطاب مما يدعو إلى الانتقام والقتل .

ولست أفهم أن إشارته عليه بأن يكرم جند خراسان والعراق وأن يأخذ الخليفة من جند الشام مما يربب الخليفة في أمره إلى الحد الذي يدفعه إلى الفتك به .

ولست أعتقد كذلك أن اقتراحاً بتقديم به كاتب فيسقط فيه اختلاف القضية في الأمر الواحد ثم يرجو أن يكون البت في مثل هذا لولي الأمر مما يكون له كبير أثر في نفوس الحاكمين .

وما جريمة ابن المقفع حين يتوسل إلى الخليفة طالباً « أن يدين في الأمصار جماعة من الخاصة يكون أمرهم تأديب العامة ومراقبة أعمالهم فإن العامة لا تصلح بنفسها إلا إذا وجدت مؤدبين من

مقبلين متأثرين نتم أقبِلنا على الكتاب نقرأ ما جاء فيه من رسالة عبد الحميد فرأيهم أقل تأثراً وفهماً .

٣ - في كتابه عبر الحمير :

ساق المؤلف أدلة ثلاثة حاول فيها أن يثبت أن عبد الحميد الكاتب متأثر بثقافة اليونان وكتابتهم ولست أريد أن أبطل هذا الرأي أو أنيقه ولكني أقول : لأنني لم أجِد في هذه الأدلة - أو على الأقل في اثنين منها - نصاعة أو قوة تحمل على الإقناع :

فأما أحد الدليَيْن فهو ما ذكره الدكتور حين قال : « وعندي في هذه الرسالة نص بسيط يدلني على أن عبد الحميد كان في هذه الرسالة متأثر إلاً باليونانية وحدها بل بما كان مألوفاً عند اليونان فهو يقول في نصحه لولي العهد ، ثم ول على كل مائة رجل منهم رجلاً من أهل خاصتك وثقانتك ونصائحك وتقدم إليهم في ضبطهم » ونحن نعلم أن الوحدات التي كان يتكون منها الجيش البيزنطي كانت وحدتين اللجيو ويتكون من ستة آلاف رجل ثم السنتريو وعدده مائة رجل ورئيس المائة هو السنتريوس « فنظام الجيش هذا ما أشك في أنه متأثر فيه برسائل الحرب عند اليونان . » اه لا أستطيع أن أفهم هذا الكلام إلا إذا حدثني التاريخ أن جيوش العرب قبل عبد الحميد كانت تقاوم جملة ولم يكن لها إلا رئيس واحد وأن هذا الرئيس لم يكن يعتمد في تحريك جيشه على أعوان من الأبطال يقولون جماعات من الجيش يتقدمون بهم أو يحجمون وأنا أعتقد أن تقسيم الجيش سنة طييمية هدت إليها ظروف القتال والسرعة في إنجاز الأعمال وقد حفظت لنا اللغة كثيراً من الأسماء التي تدل على أن العرب قد فهموا هذا وجربوه في حروبهم : ومن ذلك القنب والثو والفنبل والمنسر والسرية والحضيرة والجريدة وهكذا ومن بين هذه الأسماء ما يدل على المائة وأعتقد أنها كلمات استخدمها العرب قبل عبد الحميد ولم يكن لليونان ولا لغيرهم آثار في وضعها .

أما الدليل الثاني فهو أقل من هذا في المنزلة وأضعف منه في الحجّة إذ يتخذ المؤلف تقسيم عبد الحميد لرسائله الطويلة إلى أجزاء أساساً للقول بأنه نقل هذه الطريقة من اليونان .

يقول الدكتور هذا وهو يعلم حتى العلم أنها رسالة طويلة توشك

الخاصة والخاصة لا تستطيع أن تميز إلا إذا كان لها من الإمام مؤدب ؟

وأي ثورة أرادها - كما يقول الدكتور - وهو في هذه الرسالة ناصح متودد يرجو أن يبسط الخليفة سلطانه في كل أمر وتنفذ مشيئته في كل عمل ؟

والحق الذي لا شك فيه أن هذه الآراء وأشباهاها ليس لها من جلال الخطر ما يرفعها فوق الزندقة أو يحلها فوق مكانة العهد الذي قيد فيه الخليفة بقيود قاسية ما كان أغناه عنها .

٢ - بين الكتابة والشعر :

ويرى الدكتور فيما يرى أن الكتابة تختلف عن الشعر والخطابة من حيث فهم الناس لها فالناس عنده متساوون في فهم الكتابة وفي التأثر بها ولكنهم متفاوتون أما الشعر والخطابة فهو يقول : « ونحن عندما نقرأ عبد الحميد أو ابن المقفع لا نجد عندهما اللذة الفنية إذا كنا في طبقة واحدة أو اشتراكنا في ثقافة واحدة وإنما يقرؤهما منا ذوو الثقافة العالية والسادجة والمتوسطة والبسيطة وكلنا يجدلذة ومتمعة فنية . بينما تختلف لذتنا في قراءة الشعر باختلاف حفظنا من الثقافة . فليس كل الناس يقرأ جريراً والفرزدق أو يتذوق زيادا والحجاج ... »

وأعتقد أن الواقع يخالف هذه القاعدة التي وضعها الدكتور : فأكثر الشعر أوضح في معناه وأبين في فحواه من الكتابة وبخاصة في العهد الذي يتحدث عنه المؤلف : فكثير من الناس يفهمون كثيراً من شعر جرير ولكنهم لا يفهمون قليلاً ولا كثيراً من المقال الذي ساقه الدكتور لعبد الحميد وقد جاء فيه في وصف الرماح : « معاقص مقدها منحوتة ووصم أودها مقوم ، أجناسها مختلفة وكوبها جمعدة وعقدتها حنكة شطبية الأسنان محكمة الجلاء ... »

أما الخطابة فالقاعدة المطردة فيها أن تكون أمهل من النوعين ليفهمها السامعون في يسر ويدركوا ما جاء بها في سرعة وإلا ضاعت قيمتها وذهب الغرض من إلقيائها .

على أني أتهمت معرفتي أمام هذه الحقائق فعرضت على الطلاب طائفة من شعر جرير وتلوت شيئاً من خطبة زياد البتراء فوجدتهم

الموك (والبيرونى المؤرخ العالمى فى أيامه ، وتسكلم من الهند الفولية ولكنه لم يتمرض لوصف عمائرهما ، وقد وصفها أستاذنا الدكتور عبد الوهاب عزام بك فى ١٨ مقاله نشرتها الرسالة ، ظهر آخرها بالمدد ٧٦٣ .

وفى المقالة الثانية تسكلم الأستاذ كوردنجتون عن النحت وذهب فى بحثه إلى ٥٠٠٠ سنة . وتنقل بين عصور الفن الوثنى ، ولم يجد فى الاسلام مادة لبحثه إذ أن الاسلام بطبيعته ما حق للاسلام المنحوتة .

وتحدث الأستاذ ولكنس فى المقالة الثالثة عن التصوير . وللإسلام فى الهند باع طويل فى هذا النوع من الفن ، يقول عنها الكاتب أنها وصلت حداً من الجودة والفنى والتنوع فى دولة المغول بحيث يستمذه الذواق مهمما اختلفت الأمزجة .

والمقالة الأخيرة كتبها الأستاذ أروبن بعنوان (الفنون العصرية الهندية) . والواقع أنه لم يحدثنا عن الأساليب الفنية التى تناولها الفنانون بقدر ما حدثنا عن تاريخ الصناعات اليدوية ، فبعد عن الغرض الفنى وقد شرحها الدكتور زكى محمد حسن فى كتابه فنون الإسلام وأدخل فى مقاله الحديث عن التصوير بطريقة (الفريسكو) مع أنه قد اصطلح على جملة ضمن فن التصوير .

والمقالات شائقة مفيدة ولكن الكتاب لا يمكن أن يصور للقارىء فنون الهند جميعها . فعنوان الكتاب إذن لا يتفق مع ما يحتويه ، ولا ندرى كيف اتخذ السير ريتشارد ويستدت هذا العنوان لهذه المقالات الأربع .

والكتاب يقع فى ٢٠٠ صفحة وبه ١٦ لوحة ورسوم توضيحية أخرى قيمة ، وهد يرف ما بين القارىء وبين دولة الهند التى سارت إلى هندستان وبالكستان تلك التى تريد أن تعود من جديد لتلعب دورها على مسرح النشاط العالمى ، نرجو أن يختلف كثيراً عن تلك الأدوار المسوخة المقيتة التى تمثل اليوم فى هيئة الأمم المتحدة .

مصطفى طاهر إبراهيم

(القاهرة)

وكيل اتحاد الثقافة الأثرية

أن تكون كتاباً وأنها تناولت نواحي مختلفة وضروباً عدة . ومن حق الكاتب فى مثل هذه الرسائل العاوية أن يترجم بين الفقرة والفقرة ومن حقه كذلك أن يفعل كل ناحية عن الناحية التى تليها لاختلاف الاتجاهين . وليس من الضرورى أن يتعلم عبد الحميد هذه الطريقة عن أمة بعينها فهى الطبيعة التى يوحى بها طول الرسائل أقول هذا وأنا مقدر لرقيم الأدب فضله ومعتز بمجتهوده الذى أفاد اللغة العربية ونهض بها فى بلاد الشرق عامة .

وسأحاول فيما بعد إن شاء الله أن أناقش ما بقى من مسائل عل فى هذا النقاش بعض الفائدة للطلاب . والله الموفق .

أحمد أبو بكر إبراهيم

المدرس المتدب بمحتوب الثانوية بواد مدنى بالسودان

الفن الهندى (*)

هذا كتاب لطيف الحجم كبير الفائدة ، يضم بين دفتيه أربع مقالات عن الفن الهندى كتبها أخصائيوه ممن وكل إليهم تنظيم المروض الهندى بالاكاديمية الملكية .

فالمقالة الأولى كتبها الأستاذ راولسن ، أحاط بها بالتاريخ الاجتماعى والفنى للشعب الهندى منذ العصر البليولىنى ، معتمداً على المحريات والكشوفات . وتحدث عن الفتح الإسلامى وبين أن الدين الإسلامى هو دين الاخاء والمساواة : فالأمير والمريد سواء أمام الله وكان الاسلام من أهم الأسباب التى جعلت جنوده ينجحون فى غزو الهند المتنافرة المذاهب والمقائد ، وتسكلم عن الدولة الذرنوية فقال : « وجاء شيوخ البراهمة سميًا إلى محمود الغزنوى وعلى أكفهم أموال عظيمة يقدمونها للفاتح المنتصر ويتوسلون إليه إلا يحطم آلتهم فأجابهم الرجل : إني محطم أصنام ولست بائع انصاب » وقد أولى الكاتب السلطان محمود الغزنوى الكثير من غايته ، فتحدث عن الناحية الثقافية التى امتاز بها هذا الرجل ، وظهور الفردوسى . صاحب الشاهنامة (كتاب